ديالكتيك القومية بديالكتيك الاستعمار والتحرر يعطي جوابا ناقصا لا يغـــادر « نقصه » الا بالرجوع قليلا الى السمات التاريخية للتشكيلات الاجتماعية فـي آسيا وافريقيـــا ٠

عانت بلدان آسيا وافريقيا لمدة طويلة من الهيمنة السياسية الاجنبية التـــي حرمتها من حركتها السياسية المستقلة وحرمتها بالتالي من تقاليـــــد دولوية étatiqne راسخة ، سواء كانت هذه الهيمنة اوروبية او غير اوروبية (فارسية صينية ، عثمانية) ، يضاف الى ذلك ان هـــذه البلدان لم تعـــرف الا نـادرا التشكيلات « القومية » الواسعة ، اي السلطة السياسية المركزية القادرة اداريا على تحريك قطاعات واسعة من المجتمع ، فقد حكمت علاقاتهـا الاجتماعيـــة غالبا بالقوانين القبلية والعشائرية والعائلية والدينية والاقوامية ، ربما يشـذ عن ذلك بعض البلدان التي عرفت تقاليد مركزية مثل الصين ومصر ٠

لم تعرف هذه البلدان النظام السياسي القادر على كسر « **الولاءات البدائية** » وتحويلها الى ولاء واحد: الولاء القومي ٠فطبيعة النظام السياسية وحدود تطوره التاريخي لم تسمح للفرد ان يتعرف على ذاته علاقة من أمة او وجها في شعب ، بل تركته ودفعته يبحث عن امانه الاجتماعي وعن صورته الاجتماعية في احضان قبيلته او طائفته ٠٠٠ ، اي ان الشكل البدائي للسلطة السياسية المحدد بشرط اجتماعي متخلف انتج دائما ولاء بدائيا ٠ وهذا ما جعل هذه « السلطة » عاجزة غاليا عن القيام بتعبئة جماعية لكل قطاعات المجتمع ضد الغزو الخارجي ٠

ويجب ان نشير هنا الى ان بعض البدان الافرو ـ آسيوية قد عرفت تقاليد مركزية مرتبطة بنمط الانتاج الآسيوي أي بسلطة مركزية للدولة على الاقتصاد ، ومن الطبيعي ان ينتج عن ذلك بعض « السمات القومية » ٠ وهذا ما يدفع سمير أمين للحديث عن تشكيلات قومية سبقت تاريخيا نمط الانتـــاج الرأسمالي ، ويضرب مثالا على ذلك مجال اليونان القديمة والدولة العربية في عصرهـــا الذهبي (٩) ٠ مع ذلك فان السمات القومية المرتبطة بنمط الانتاج الآسيوي لا تدين بوجودها لممارسة دولوية étatiqne توحيدية بالمعنى المادي للكلمة ، بل تعود الى الممارسة الاستبدادية المميزة لهذا النمط من الانتاج ومرهونة بـــه تاريخيا ٠

دفع الغزو الاستعماري السمات القومية في شكلها التاريخي (محدوديتها) من حالة « الكمون » الى حالة « اليقظة » منتجا بذلك **الايدولوجيا القومية** ٠

القومية في آسيا وافريقيا تطلع وطموح اي أنها ايدولوجيا قوميـــة تبشر لمستقبل وتناضل ـ بشكل متفاوت ـ لخلق الاساس المـــادي لها ولمقدماتهـــا الاساسية ٠ تقوم هذه القومية في **مستوى البنيان الفوقي** عقيدة تبشيرية وفكرا مناضلا لا يعكس واقعا بل يطمح اليه (١٠) ٠ لذلك نقول ان العلاقة التي تحكم